

قراءة في كتاب: "منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية"

محمد يسلم سيد عبد الله

قراءة في كتاب: "منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية"  
للدكتور فتحي حسن ملكاوي؛ نحو تكامل معرفي بين العلوم

محمد يسلم سيد عبد الله

المملكة المغربية

#### الملخص:

يشكل كتاب "منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية" للدكتور فتحي حسن ملكاوي، نموذجاً عملياً فريداً للتكامل المعرفي بين الوحي والكون والإنسان. انطلق فيه الكاتب من تأصيل مقاصدي للقيم وتفعيلها تربوياً، ووفق في هذا المقصد إلى حد كبير. وجاءت هذه القراءة لتبرز أهمية استثمار هذا التكامل في بناء المنهج وتوجيه العملية التعليمية، وتم تقسيمها إلى ثلاثة محاور: تحليل تطبيقاته في السياقات المختلفة، وكيفية تنمية العقل بالتعلم، والربط بين القيم الثلاث الكبرى: التوحيد، والتزكية، والعمران. يؤكد الطرح أن هذه القيم تتصل ببعضها اتصالاً وثيقاً في بناء الإنسان المستخلف.

الكلمات المفتاحية: القيم المقاصدية، فتحي ملكاوي، التكامل المعرفي، التربية الإسلامية، التزكية والعمران

Reading of the Book: "The System of Maqasidi Values  
and Their Educational Manifestations"

by Dr. Fathi Hassan Malkawi:

Towards Cognitive Integration between Sciences

**Abstract:**

This article presents a critical reading of Dr. Fathi Hassan Malkawi's book, "The System of Maqasidi Values and Their Educational Manifestations," exploring its contribution to the field of cognitive integration between divine revelation and human sciences. The study examines how Malkawi establishes a foundational framework for values based on higher objectives (Maqasid), transforming them from abstract theories into actionable educational practices. The research highlights the book's unique approach in bridging the gap between spiritual truths and empirical reality through the triad of "Monotheism (Tawhid), Purification (Tazkiyah), and Civilization (Umran)." By analyzing the educational manifestations of these values, the author illustrates how the development of the mind and the scientific temperament are central to Islamic pedagogy. The article discusses the importance of this integrative vision in designing modern curricula that align with human nature (Fitra) and the purpose of vicegerency on Earth. Furthermore, it addresses the practical mechanisms for implementing these values at individual and societal levels, emphasizing that education is the primary tool for civilizational reform. This reading concludes that Malkawi's work offers a robust strategy for reconciling religious values with contemporary educational needs, providing a model for a holistic and purpose-driven intellectual project in the Islamic world.

**Keywords:** Maqasidi values, Fathi Malkawi, cognitive integration, Islamic education, Tazkiyah and Umran

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين إمام المرسلين خاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم.

وبعد: فإن كتاب "منظومة القيم المقاصدية وتحليلاتها التربوية" للدكتور فتحي حسن ملكاوي، كتاب يشكل نموذجا عمليا فريدا للتكامل المعرفي بين الوحي والكون والإنسان، انطلق فيه الكاتب من تأصيل مقاصدي للقيم وتفعيلها تربويا، ووفق في هذا المقصد إلى حد كبير، وجاءت هذه القراءة الحافظة لتبرز أهمية استثمار هذا التكامل في بناء المنهج وتوجيه العملية التعليمية، وتم تقييمها إلى ثلاثة محاور، هي:

#### المحور الأول: تحليل تطبيقاته في السياقات المختلفة (التأصيل النظري):

الأمر الأول: أثناء تعرض ملكاوي لمنظومة: التوحيد، التزكية، العمران. أصل تأصيلا واردا، وذلك لأن العلواني نظر إلى تفاوتها -وهذا لا مشاحة فيه- الأمر الذي يستدعي أن لا تكون ضمن منظومة متكاملة، فقال هو -على لسانه-: كما أن العناصر الثلاثة في طرح العلواني مختلفة، فواحد تصوري، والآخر سلوكي، والثالث سيرى استخلافي، فكيف ندرجها في مستوى تحليلي واحد؟!<sup>1</sup> فالفكرة المطروحة هنا تثير إشكالا منهجيا مهما، لكنها ليست حاسمة بالضرورة ضد إدراج "التوحيد، التزكية، العمران" ضمن منظومة واحدة، وذلك لما يلي:

أولا: ملاحظة اختلاف طبيعة العناصر (تصوري سلوكي حركي استخلافي) صحيحة من حيث الوصف؛ فالتوحيد ينتمي إلى المجال المعرفي العقدي، والتزكية تنتمي إلى المجال الأخلاقي السلوكي، والعمران ينتمي إلى المجال الحضاري العملي، هذا من جهة، لكن من جهة أخرى هذا التفاوت لا يستلزم بالضرورة التفكيك، بل قد يكون مقصودا لبيان التكامل.

ثانيا: الاعتراض يفترض ضمنا أن أي منظومة متكاملة يجب أن تكون عناصرها من نفس المستوى التحليلي، وهذا افتراض قابل للنقاش في كثير من النماذج الفكرية الكبرى، وبهذا المعنى يمكن فهم الثلاثي كنسق هرمي وظيفي، ف:

التوحيد: يؤسس الرؤية والمعنى.

التزكية: تشكل الفاعل الإنساني القادر.

العمران: يجسد الأثر في الواقع.

ثالثا: طرح العلواني (كما يفهم من هذا السياق عند ملكاوي) لا يبدو أنه يضع العناصر في "مستوى تحليلي واحد" بقدر ما يقترح "سلسلة ترايبية" أو "منظومة تفاعلية"؛ أي أن الاختلاف ليس خلافا بل شرطا للفاعلية: فكرة بلا تزكية قد تبقى نظرية، وتزكية بلا عمران قد تنزل، وعمران بلا توحيد قد يفقد بوصلته. ومع ذلك، يمكن تقوية النقد من زاوية أدق أي: إذا لم يبين بوضوح نوع العلاقة بين هذه المستويات (هل هي سببية؟ أو هي شرطية؟ أو هي جدلية؟)، فقد يقع خلط فعلي في التحليل، ويصعب استعمالها كأداة منهجية دقيقة. وجاء ملكاوي بعد هذا ليؤصل لتكامل المنظومة بقياس وارد، فقال: ومع ذلك فإنه ليس ثمة ما يمنع من جمع عدد من العناصر التي تكون مختلفة في المستوى وفي الطبيعة، عندما يكون هناك عرض تصنيفي معين. فالحديث النبوي الصحيح الذي جمع أركان الإسلام الخمسة وضع شهادة التوحيد (...) وحديث شعب الإيمان (...) وكثير من العناصر المجموعة معا في صيغة معطوفات في القرآن الكريم.<sup>2</sup> هذا التعليل الذي يقدمه ملكاوي هنا أمتن من سابقه من جهة، لكنه ليس

منظومة القيم المقاصدية وتحليلاتها التربوية، ص: 22. <sup>1</sup>

نفسه، ص: 22-23. <sup>2</sup>

خاليا من الإشكال من جهة أخرى؛ فمن حيث القوة؛ هو يلفت إلى قاعدة معروفة، هي: إمكان جمع عناصر مختلفة الطبيعة ضمن إطار واحد إذا كان الغرض "تصنيفيا" أو "بنويا". واستشهاده بنماذج من النصوص (كجمع أركان الإسلام أو شعب الإيمان) يظهر أن الاختلاف في الطبيعة (اعتقادي قولي عملي) لا يمنع من الانتظام في نسق واحد بهذا المعنى، فهو يدافع عن مشروعية "التكامل رغم التباين". الإشكال في هذا التأصيل هو نوع القياس الذي اعتمده، فالنصوص التي استشهد بها لا تكنفي بمجرد "الجمع"، بل يكون الجمع فيها قائما على وحدة مرجعية واضحة (الإيمان، الإسلام، الإحسان) مع بيان طبيعة العلاقة بين الأجزاء (أركان، شعب، شروط...). أي أن هناك ضبطا داخليا دقيقا للعلاقة، وليس مجرد عرض تصنيفي عام. القياس هنا قد يظن بأنه "قياس مع الفارق": لأن جمع عناصر في نص شرعي له وظيفة بيانية تربوية محددة، بينما بناء منظومة فكرية تحليلية يتطلب تحديدا أدق لمستويات التحليل والعلاقات السببية أو الوظيفية بينها. كذلك، القول بإمكان الجمع عند وجود عرض تصنيفي يبقى عاما؛ إذ لا يجب عن السؤال الأهم الذي هو: ما هو معيار هذا التصنيف؟ وما الذي يجعل هذه العناصر الثلاثة بالذات (التوحيد، التزكية، العمران) منتظمة في نسق واحد دون غيرها؟. وبعبارة أخرى: ملكاوي نجح في نقض دعوى الاستحالة (أي أنه لا مانع من حيث المبدأ)، لكنه لم يحسم بعد في إثبات الضرورة أو الإحكام المنهجي لهذا الجمع. وعليه فاستدلاله هذا يضعف الاعتراض الأول لأنه يبين أن الاختلاف لا يمنع التكامل، لكنه يحتاج إلى تدعيم ببيان نوع العلاقة المنظمة بين العناصر، ومعيار جمعها، حتى يتحول من مجرد إمكان تصنيفي إلى منظومة تحليلية راسخة.

الأمر الثاني: التكامل المعرفي بين التوحيد، التزكية، العمران: هذا الثلاثي هو عبارة عن منظومة الحياة الكلية، ومنها تنفرع باقي القيم الأخرى، قال: وبمكنا أن نشق من هذه المنظومة، التي تبدأ بتوحيد الخالق، ثم بتزكية الإنسان، وتعمير الكون، كل القيم الأخرى<sup>1</sup> هذا التقرير يمثل محاولة للانتقال من إمكان الجمع إلى دعوى المركزية والتوليد أي: أن هذا الثلاثي (التوحيد، التزكية، العمران) ليس مجرد عناصر متجاورة، بل أصل تشتق منه سائر القيم، وهذه نقلة مهمة، لكنها تحتاج إلى تدقيق من جهتين: القوة والإشكال:

— من جهة القوة: الفكرة هنا أكثر تماسكا من الطرح السابق، لأنها تقترح بنية توليدية: فالتوحيد يؤسس المرجعية والمعنى (منطلق القيم)، والتزكية تشكل الإنسان الحامل لهذه القيم، والعمران يجسدها في الواقع. بهذا التصور، يصبح الثلاثي منظومة حياة فعلا، لا مجرد تصنيف؛ إذ يغطي: الرؤية، والفاعل، والمجال، وهذا يمنحها قدرة تفسيرية واسعة، ويجعل الاشتقاق ممكنا من حيث المبدأ (اشتقاق القيم المعرفية والأخلاقية والحضارية).

— من جهة الإشكال: هنا تظهر عدة نقاط تحتاج إلى مزيد من الإحكام:

أولا: دعوى الشمول (كل القيم)، هذه دعوى كبيرة، وتحتاج إلى برهنة تفصيلية: كيف تشتق مثلا القيم الجمالية أو المعرفية الدقيقة أو التنظيمية المعقدة من هذا الثلاثي؟ إن لم يبين مسار الاشتقاق، بقيت الدعوى أقرب إلى الإجمال الخطابي، ومع ذلك لا أستبعد أن تكون كلها راجعة إلى المثلث المذكور، لكن الأمر كما قلت يحتاج لتطعيم من الأدلة الواضحة.

ثانيا: مشكلة الترتيب (هل هو خطي أم تفاعلي؟)، قوله: تبدأ بتوحيد الخالق، ثم تزكية الإنسان، وتعمير الكون. كلام يوحى بتسلسل خطي، لكن الواقع أكثر تعقيدا؛ فهل يمكن أن يقع عمران جزئي دون كمال التزكية؟ وهل التزكية نتيجة للتوحيد فقط، أم تغدئ أيضا من الممارسة العمرانية؟ إذا لم توضح طبيعة العلاقة (تتابع، تداخل، جدل)، قد يتحول النموذج إلى تبسيط مخل.

منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية، ص: 21. <sup>1</sup>

ثالثا: معيار الاختيار (لماذا هذا الثلاثي تحديدا دون غيره؟) وما الذي يجعله الأصول دون غيره؟ هل لأنه يغطي مجالات ثلاثة: (معرفي، سلوكي، حضاري)، أم لوجود نصوص تؤصله، أم لاعتبارات استقرائية؟ بدون معيار واضح، قد ينظر إليها كاختيار انتقائي لا غير.

رابعا: على مستوى التجريد "التوحيد" مفهوم كلي جدا، وكذلك "ال عمران". الانتقال من هذه الكليات إلى قيم جزئية يحتاج إلى آليات منهجية (قواعد ترتيب، مقاصد، سنن...)، وإلا بقي الاشتقاق عاما غير عملي. وعلى هذا الطرح ينجح ملكاوي في إعطاء الثلاثي بعدا نسقيا توليديا، ويتجاوز مجرد الجمع التصنيفي، لكنه لا يكتمل إلا إذا حددت بدقة طبيعة العلاقات بين العناصر (هل هي هرمية، تفاعلية، أم جدلية؟)، وبين مسار اشتقاق القيم منها بشكل منهجي مع تبرير اختيار هذا الثلاثي دون غيره. وبدون ذلك، تظل الفكرة واعدة من حيث الرؤية، لكنها تحتاج إلى مزيد من التعميد لتصبح أداة تحليلية صارمة. ولم يمر على هذه الإشارة التي تلوح إلى التكامل، مرور الكرام، وإنما صرح به، فقال: إن التعامل مع عناصر منظومة: التوحيد، والتزكية، وال عمران، لتأكيد تكاملها وترابطها، لا يجعلها بالضرورة في مستوى واحد من القيمة والأهمية؛ إذ يبقى التوحيد رأس الأمر كله في الإسلام.<sup>1</sup> وهذا أكيد وأكد.

الأمر الثالث: التكامل بين التوحيد والعلوم: وينضاف إلى الثلاثة السابقة مكون رابع، هو: "السنن الكونية" فقال: وقوانين الطبيعة هي سنن الله في خلقه، يتحدث عنها الله سبحانه، فمنها ما يعرضه الله سبحانه للتفكير والتدبر، ومنها ما يطلب منا اكتشافه وصياغته<sup>2</sup> وهذا التطوير يعد خطوة لافتة؛ لأنه لا يكفي بالمنظومة الثلاثية السابقة، بل يوسعها بإدخال "السنن الكونية" كجسر يصل التوحيد بالعلوم، ومع ذلك، فالقيمة الحقيقية لهذا الطرح تتوقف على كيفية ضبط هذا الإدخال.

من جهة القوة: إضافة "السنن الكونية" تمنح النموذج بعدا معرفيا تطبيقيا كان ينقصه،

فهي تترجم التوحيد من مجرد مبدأ عقدي إلى قابلية للفهم العلمي للعالم؛ إذ يصبح الكون مجالا لقراءة "سنن الله"، وترتبط العمران بالعلم ربطا مباشرا، لأن تعمير الكون لا يتم إلا بفهم قوانينه، كما تفتح باب التكامل بين الوحي والكون: الوحي يرشد إلى النظر، والسنن تكتشف بالملاحظة والتجربة، بهذا، تتحول المنظومة إلى أربعة أبعاد: مرجعية (التوحيد)، بناء إنساني (التزكية)، فعل حضاري (ال عمران)، آلية معرفية (السنن الكونية) البعد المعرفي التطبيقي. لكن الإشكال المنهجي يظهر في نقاط دقيقة، هي: أولا: التباس المفهوم (السنن: ديني أم علمي؟)، القول بأن "قوانين الطبيعة هي سنن الله" صحيح من حيث الرؤية الإيمانية، لكن السنن في الخطاب القرآني غالبا ما تشمل أيضا سننا اجتماعية وتاريخية، لا فقط فيزيائية، بينما قوانين الطبيعة في العلم الحديث لها تعريف إجرائي صارم، إذا لم يفرق بين المستويين، قد يحدث خلط بين الدلالة الإيمانية والتوصيف العلمي.

ثانيا: إشكال المنهج (كيف نكتشف السنن؟)، النص يقول: منها ما يعرض للتدبر، ومنها ما يطلب اكتشافه. هذا جيد، لكنه يثير سؤالا مفاده: هل طريق اكتشاف السنن هو نفسه المنهج العلمي التجريبي المعروف؟ أم أن هناك منهجا مستمدا من التوحيد يختلف عنه؟ إن لم يحسم هذا، قد يبقى الربط بين التوحيد والعلوم خطايا أكثر منه منهجيا.

نفسه والصفحة. <sup>1</sup>

نفسه، ص: 30. <sup>2</sup>

موقع السنن داخل المنظومة؛ هل هي عنصر مستقل (كما طرح هنا) أم هي أداة ضمن العمران (لأنها تستخدم في التعمير) أم هي جزء من التوحيد (بوصفها مظهرا من مظاهر النظام الإلهي)؟، تحديد موقعها ضروري حتى لا تتحول المنظومة إلى إضافة عناصر دون ضبط بنوي.

ثالثا: خطر الاختزال: إذا قيل إن العلوم هي مجرد اكتشاف سنن الله، فقد يجتزل البعد الإجرائي والتراكمي والمعقد للعلم في بعد تأملي، بينما العلم الحديث يقوم على نماذج، فرضيات، اختبارات.. وعليه فإدخال السنن الكونية يقوي فكرة التكامل، لأنه يربط التوحيد بالعلم والعمران ربطا وظيفيا، لكنه يحتاج إلى تمييز دقيق بين المفهوم الإيماني للسنن والمفهوم العلمي للقوانين، وتحديد المنهج المعرفي للاكتشاف، وضبط موقع هذا المكون داخل البنية الكلية. إذا تحقق ذلك، يمكن أن تتحول الفكرة من رؤية توفيقية عامة إلى إطار معرفي قادر على إنتاج فهم علمي وحضاري منضبط. ثم فصل في علاقة علم التوحيد وعلم العقيدة اثتلافا واختلافا، فقال: فبعضهم يجعل علم التوحيد جزءا من علم العقيدة (...). بينما لا يرى علماء آخرون فرقا مهما بين هذه العناوين؛ لأن موضوعها واحد في نهاية المطاف.<sup>1</sup> وعن السنن الكونية، قال: وكذلك الأشياء كلها في هذا العالم، تسلك وفق سنن الله وقوانينه. وقيمة كل منها تكمن في تسخيرها للإنسان؛ ليرتقي بهذا العالم إلى الصورة التي يريد الله سبحانه.<sup>2</sup> هذا، وينضاف إلى الأربعة السالفة الذكر مكونان آخران، هما: "علم الأديان، والفلسفة" قال أثناء كلامه عن كتاب التوحيد للماتريدي: يعد هذا الكتاب من أقدم المراجع الكلامية في التاريخ الإسلامي، ويمتاز بأنه لا يكتفي بعرض رؤيته للتفكير الإسلامي في مسائل العقيدة، وإنما يناقش -إضافة إلى ذلك- مواقف الفرق الإسلامية الأخرى في هذه المسائل، ولا سيما المعتزلة، ويوضح مواقف الأديان والنظريات الفلسفية.<sup>3</sup> فصار الحاصل هو ستة علوم، وينضاف إلى هذه الستة: الفلسفة، وعلم الكلام، والتصوف، وتعرض له أثناء قراءته للمطالب العالية لفخر الدين الرازي، فقال: ناقش (...). أقوال الفلاسفة والمتكلمين والصوفية، على طريقة: "قالوا، وزعموا... ونحن نقول"، وعلى طريقة "هب أن..."<sup>4</sup> فهذه ثلاثة فنون، هي: الفلسفة، وعلم الكلام، وعلم التصوف، فصار العدد بما تسعة، وينضاف إلى التسعة: علم السياسة الشرعية، وذلك أثناء تعرضه لرسالة التوحيد لمحمد عبده، حيث قال: عاش محمد عبده في الفترة [1849-1905]، وكانت حالة العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تتسم بالضعف، والتخلف، والتجزئة، والاختلاف.. ولا سيما عند مقارنته بالدول الأوروبية، التي كانت تمتلك التقدم الصناعي، والعلمي، والعسكري، وتسيطر على كثير من أنحاء العالم الإسلامي، وتهدد دولة الخلافة العثمانية.<sup>5</sup> وقال عنه أيضا: التوحيد قيمة مركزية في الإسلام، وهي مصدر القيم الأخرى، وتتجلى مضامينها في أنظمة الفكر والحياة جميعا، من النظام السياسي إلى النسق الجمالي والفني. ففي المجال السياسي تتجلى قيمة التوحيد أساسا في وحدة الأمة التي تعد شرطا أساسيا لتحقيق مقاصد الخلافة السياسية الإسلامية. والمقصود هنا هو أن الأمة هي الوحدة التكوينية الكبرى في النظام السياسي الإسلامي.<sup>6</sup> وقال في المجال السياسي أيضا: إن المشكلات السياسية التي يعاني منها العالم الإسلامي اليوم كثيرة ومعقدة، ولكن أكثرها ظهورا هو فقدان القادات السياسية للرؤية الإسلامية، وفقدان يقينها بقدرة الإسلام والالتزام به على الخروج بالأمة مما هي فيه من ضعف وتخلف وغثائية. وفي الوقت الذي تقوم فيه هذه القادات بإنارة الشعلة اللازمة لتحريك الأمة في اتجاه صنع التاريخ وقيادة البشرية وترشيد الحضارة، تكون خلافة

نفسه، ص: 37. 1

الصفحة: 65. 2

منظومة القيم، ص: 40. 3

نفسه، ص: 41. 4

الصفحة: 44. 5

الصفحة: 61. 6

أبي بكر الصديق أشرفت لحظتها وبدأت مسيرتها.<sup>1</sup> ثم بعد العشرة هذه؛ الفلسفة اليونانية –وتقدمت الفلسفة بصفة عامة–، قال: وانتقد متأخري الأشعرية الذين وقعوا فيما وقع فيه المعتزلة، الذين أثنى عليهم كذلك لإعمالهم للعقل البشري فيما خلقه الله له، ولكنه في الوقت نفسه نعى عليهم تطرفهم، وتشددهم، وخطتهم لأمر العقيدة بالفلسفة اليونانية.<sup>2</sup> وينضاف إلى الاحدى عشر: **الفكر الإصلاحى**، قال أثناء حديثه عن رسالة التوحيد لمحمد عبده: وقد كان لمنهج محمد عبده في رسالة التوحيد أثره الكبير في أعمال تلاميذه وغيرهم من العلماء الذين لحقوا به، وتأثروا بمدرسه الإصلاحية في الاجتهاد في العلم، والتوجه العملي في الدعوة.<sup>3</sup> وينضاف إلى الاثني عشر: **علم الكلام الجديد، فلسفة الحضارة، الإصلاح الدينى**، قال أثناء خوضه في كتاب التوحيد وتضمنياته في الفكر والحياة لإسماعيل الفاروقى: ويمكن النظر إلى هذا الكتاب.. على أنه إحدى المحاولات المعاصرة الجادة التي أخذت على عاتقها مهمة تجديد علم الكلام، وإعادة تفعيله، وربطه بحركة التاريخ، وبالأشواق الحضارية المشروعة للمسلمين في العصر الحديث.<sup>4</sup> وينضاف إلى الخمسة عشر: **العقل والنقل**، قال: ويرى الفاروقى أنه لا العقل ولا الوحي [النقل] يسيطر أحدهما على الآخر.<sup>5</sup> وينضاف إلى الستة عشر: **النظام الاجتماعى (الأسرة/ الأمة)**، قال: تشتمل تعاليم الإسلام على ما يختص بمناحي الحياة كلها.. أحكام التعامل المالى والاقتصادى، وشؤون الدولة والإدارة الحكومية، وأحكام القضاء وقوانين تحقيق العدل، وكلها أحكام تتعلق بالواقع الاجتماعى.. ويختلف الإسلام تماما في هذا عن الأديان الشرقية الهندوكية والبوذية، وعن المسيحية، كما يختلف عن النظرة العلمانية الحديثة التي لا تريد إنشاء مجتمع تنبع قيمه من مصدر دينى.<sup>6</sup> وينضاف إلى السبعة عشر: **التعايش مع الديانات الأخرى، والحضارة والعمران البشرى**، قال:.. وأن مفهوم الأمة مفهوم دينى إسلامى، يختلف عن المفاهيم الدينية غير الإسلامية، فهو يعطي الحق لأتباع الأديان الأخرى أن يجتمعوا على أساس دينهم، ويبحث على ذلك، ويستوعبهم في مجتمع المسلمين، مع الاحتفاظ بكياناتهم الدينية الخاصة بهم، ويبقى دستور المجتمع المسلم يحمل رسالة مفتوحة إلى العالم كله، للدخول في الإسلام أو الدخول في أمان الإسلام، مع التفاعل البناء، والتعاون المثمر في حماية الحقوق وتوفير الرعاية والتمتع بالسلام.. فقيام الحضارة والعمران البشرى يقتضى حضوريا ما أشرنا إليه من بيئة الحرية والعدل والسلام.<sup>7</sup> وينضاف إلى التسعة عشر: **علم الاقتصاد**، قال: ويقوم النظام الاقتصادى في الإسلام على مبدئين؛ الأول: عدم شرعية قيام فرد أو مجموعة باسغلال الآخرين، الثاني: عدم شرعية قيام أي فرد أو مجموعة بإنشاء حصار اقتصادى على الآخرين أو الحجر عليهم.<sup>8</sup> وقال فيه أيضا: وكما كان للتوحيد في الاقتصاد الإسلامى قيمته في وضع المبادئ العامة للاقتصاد، فقد كان للتوحيد تجلياته في أخلاقيات العمل ومبادئ الإنتاج.<sup>9</sup> ولا زال يؤكد الترابط بين علمى الاقتصاد والتوحيد، فقال: وكما كان للتوحيد تجلياته في أخلاقيات الإنتاج، فكذلك

الصفحة: 63. 1

الصفحة: 45. 2

الصفحة: 46. 3

الصفحة: 48. 4

الصفحة: 51. 5

الصفحة: 54. 6

الصفحة: 63-64. 7

الصفحة: 65. 8

الصفحة: 65. 9

شأنه في أخلاقيات الاستهلاك، فالتوحيد يعطي الإنسان المسلم مبدأً إيجابية نحو العالم، ومن ثم يمنحه شرعية الاستهلاك<sup>1</sup>. هذا بمجمل عشرون علماً، عانق ملكاوي بعضها مع بعض بطريقة تكاملية فريدة.

المحور الثاني: تفعيل التكامل بين المعارف الشرعية والعلوم الكونية في العملية التعليمية:

تعزيز البصيرة الشمولية في بناء شخصية المتعلم من خلال التكامل المعرفي:

أولاً: تجليات التوحيد في مجال النظام المعرفي:

قال:.. التوحيد تضمن بالضرورة وحدة مصادر المعرفة.. سواء كانت هذه المعرفة وحياً إلهياً صادقا، أو استدلالاً من عالم الكون وظواهر الطبيعة، التي حث الوحي على تأملها وتدبرها والسير في أنحائها، لاكتشاف السنن والطباع وفهم الظواهر والوقائع<sup>2</sup>. هذا المقطع يقدم محاولة واضحة لبناء رؤية معرفية توحيدية تسهم في تشكيل شخصية المتعلم، عبر ربط مصادر المعرفة ضمن أفق واحد، وهو طرح غني، لكن يحتاج إلى قراءة دقيقة تبرز قوته وحدوده، ويتضح ذلك فيما يلي:

- 1- من جهة القوة: الفكرة الأساسية هنا هي أن التوحيد لا يقتصر على البعد العقدي، بل يمتد ليؤسس وحدة في النظام المعرفي؛ أي: الوحي مصدر للمعنى والهداية والتوجيه، والكون مصدر للمعرفة التجريبية والاكتشاف، بهذا التصور، لا يوجد تعارض جوهري بين القراءة في الكتاب المسطور (الوحي) والقراءة في الكتاب المنظور (الكون)، بل كلاهما يندرج ضمن مرجعية واحدة، وهذه الفكرة تعزز لدى المتعلم؛ الانفتاح على العلوم الطبيعية بدل التوجس منها، وربط التعلم العلمي بمعنى أوسع للحياة والوجود، وتجاوز الازدواجية بين الديني والديني. لكن الإشكال يظهر عند التدقيق في عبارة وحدة مصادر المعرفة أي: هل المقصود وحدة حقيقية أم وحدة مرجعية؟ من الصعب القول بوحدة المصادر بالمعنى الصارم؛ لأن الوحي يقوم على التسليم بنص معصوم، بينما المعرفة الكونية تقوم على الملاحظة والتجربة وقابلية الخطأ، الأدق هنا هو الحديث عن وحدة المرجعية أو عدم التعارض في الأصل، لا وحدة المصدر بالمعنى المنهجي.
- 2- اختلاف المنهجيات: الجمع بين الوحي والكون لا يعني توحيد طريقة الاشتغال عليهما، فالوحي يفهم بأدوات التفسير وأصول الفقه واللغة، والكون يدرس بالمنهج العلمي التجريبي. إذا لم يحترم هذا التمايز، قد يقع خلط يضعف الاثنان معا.
- 3- إشكال التوظيف التربوي؛

كيف تترجم هذه الفكرة في بناء المتعلم؟ هل يطلب منه استحضار البعد الإيماني في كل درس علمي؟ أم يبنى لديه وعي كلي يربط لاحقاً بين المجالات؟

نجاح الفكرة تربوياً يتوقف على تحويلها إلى ممارسات تعليمية واضحة، لا مجرد مبدأ عام.

- 4- حدود عدم التعارض: القول بأن الوحي يحث على دراسة الكون صحيح، لكن قد تظهر توترات في الفهم أو التأويل، وهنا يحتاج المتعلم إلى أدوات كالتمييز بين النص القطعي والظني، وفهم تطور المعرفة العلمية. دون ذلك، قد تتحول الوحدة إلى توتر غير محلول. وعلى هذا الطرح ينجح في تأسيس أفق تكاملي يعزز البصيرة الشمولية لدى المتعلم، ويكسر الثنائية بين الوحي والعلم، لكنه يحتاج إلى ضبط أدق عبر استبدال وحدة المصادر بوحدة المرجعية مع تعدد المناهج، وتوضيح كيفية

الصفحة: 66. <sup>1</sup>

الصفحة: 72. <sup>2</sup>

الاشتغال بكل مصدر، وتحويل الفكرة إلى آليات تربوية عملية. بهذا يصبح التوحيد ليس فقط مبدأ إيمانياً، بل إطاراً ناظماً يوجه علاقة المتعلم بالمعرفة دون أن يلغي تنوع طرق إنتاجها.

### ثانياً: تجليات التوحيد في النظام الجمالي:

قال: اخترع الفنان المسلم في سيره على خط التفكير التوحيدي فن التزيين، وطوره إلى نسق (الأرابيسك) في تصوير تجريدي، يتمدد بصورة لا نهائية في جميع الاتجاهات، حتى انفصل عن الطبيعة المادية للأشياء، واستحال إلى حقل النظر فقط. وحتى عندما استخدم الفنان المسلم هيئات النبات أو الحيوان أو الإنسان في رسومه، فإنه شكلها حتى خرجت عن طبيعتها المادية<sup>1</sup>. وهذا الطرح يحاول فيه ملكاوي أن يبرز أثر التوحيد في تشكيل الحس الجمالي، عبر نموذج "الأرابيسك" بوصفه تعبيراً عن رؤية تجريدية لا نهائية، وهو تحليل له وجاهته، لكنه يحتاج إلى قدر من التوازن والتدقيق، ويتضح ذلك فيما يلي:

1- من جهة القوة: الفكرة الأساسية مقنعة في أصلها: التوحيد بما يؤكد عليه من تزييه ووحدة مطلقة، قد يدفع إلى تجنب التشخيص الواقعي المباشر والتركيز على التجريد، ومن هنا يمكن فهم تطور فنون الزخرفة الهندسية والنباتية (الأرابيسك) بوصفه تعبيراً عن اللاهائية (الامتداد غير المنتهي)، ووحدة داخل تنوع (تكرار النمط مع اختلافاته)،

وانفصالاً نسبياً عن المحاكاة الحرفية للطبيعة، هذا التحليل ينجح في ربط الرؤية العقديّة بالاختيارات الجمالية، ويعطي للمتعمّل وعياً بأن الفن ليس محايداً، بل يتأثر بالخلفيات الفكرية، لكن الإشكال يظهر في التعميم والتفسير الأحادي؛ مبالغة في نسبة الاختراع، القول بأن الفنان المسلم اخترع فن التزيين أو التجريد ليس دقيقاً تاريخياً؛ فالتجريد والزخرفة كانا موجودين في حضارات سابقة، فالقول الأدق إذاً هو: أن الفن الإسلامي طور وبلور هذه الأنماط ضمن رؤية خاصة.

2- اختزال الفن الإسلامي في الأرابيسك، الفن الإسلامي أوسع بكثير؛ فيه العمارة، والخط، والزخرفة،

وفيه أيضاً حضور للعنصر الإنساني والحيواني في بعض البيئات (خاصة الفنون الفارسية الإسلامية والعثمانية).

اختزاله في التجريد فقط يفقده تنوعه التاريخي، العلاقة بين التوحيد والتجريد ليست آلية دائماً، الربط بين التوحيد وترك المحاكاة الواقعية مهم، لكنه ليس تفسيراً وحيداً، بل هناك عوامل فقهية، وثقافية، وتقنية (طبيعة المواد والعمارة) أي: أن التوحيد أحد المؤثرات، لا العامل الوحيد.

3- فكرة الانفصال عن الطبيعة: القول إن الأرابيسك انفصل عن الطبيعة، يحتاج تعديلاً؛ هو في كثير من الأحيان إعادة صياغة للطبيعة (تبسيط، تكرار، تجريد)، لا قطعة تامة معها، حتى أن الأنماط الهندسية نفسها قد تفهم ككشف عن نظام كامن في الكون، لا هروب منه.

4- القيمة التربوية للفكرة: رغم هذه الملاحظات، يظل الطرح مفيداً في بناء البصيرة الشمولية لدى المتعلم، لأنه:

يربط بين العقيدة والذوق، ويظهر أن الجمال يمكن أن يكون حاملاً للمعنى،

ويدرب المتعلم على قراءة الأعمال الفنية بوصفها تعبيراً عن رؤية للعالم. وعليه فالتحليل ينجح في إبراز أثر التوحيد في التزعة التجريدية للفن الإسلامي، لكنه يحتاج إلى تجنب التعميم والاختزال، والإقرار بتعدد العوامل المؤثرة، وفهم الأرابيسك كتطوير إبداعي ضمن سياق تاريخي، لا كاختراع معزول أو نتيجة وحيدة للتوحيد.

<sup>1</sup> الصفحة: 73.

بهذا يصبح الربط بين التوحيد والجمال أكثر دقة وثراء، وأقدر على إقناع المتعلم وتنمية ذاتيته النقدية. وقال: وبذلك أصبح التوحيد هو القيمة التي تفسر أعمال الفنان المسلم الذي صهر الإسلام نظرته إلى الكون بصرف النظر من مكانه في الجغرافيا أو صفته في اللغة أو العرق.<sup>1</sup> وختم الفصل الأول بقوله في المبادئ المنهجية المتفرعة من التوحيد، والتي تفيد التكامل معه:

ومن هذه المبادئ على سبيل المثال لا الحصر: مبدأ تكامل الخلق والأمر، ومبدأ تكامل الدنيا والآخرة، ومبدأ تكامل الوحي والعالم، ومبدأ تكامل العقل والحس.<sup>2</sup>

### ثالثا: التكامل بين التزكية والعلوم:

مع التزكية في الكتاب نجد عدة فنون تتداخل معها، منها: علوم القرآن، خصوصا تفاسير القرآن، قال: أما لفظ الزكاة بمعنى الفريضة المعروفة في أركان الدين الخمسة، فإن محمد الطاهر بن عاشور يقول: "لا أحسب استعمال الزكاة (زكاة المال) -بمعنى المال المبذول لوجه الله- ورد بهذا المعنى إلا في مصطلحات القرآن الكريم، ولم يرد بهذا المعنى قبل نزول القرآن الكريم.<sup>3</sup> وهذا المقطع يحاول فيه ملكاوي أن يبرز تداخل التزكية مع الحقول العلمية، خاصة علوم القرآن، عبر تتبع دلالة الزكاة وتطورها الاصطلاحي، وهو توجه مهم، لكنه يجمع بين بعدين مختلفين، هما: البعد المفهومي (التزكية) والبعد الاصطلاحي (الزكاة)، ويتضح ذلك في الآتي:

أولا: من جهة القوة الاستشهاد بكلام محمد الطاهر بن عاشور يلفت إلى قضية دقيقة، وهي:

أن القرآن لم يكتف باستعمال ألفاظ موجودة، بل أعاد تشكيلها دلاليا، فانتقل لفظ الزكاة من معنى عام (النماء، الطهارة) إلى معنى شرعي محدد (المال المخرج تعبدا)، وهذا يخدم فكرة التكامل؛ لأن

التزكية كقيمة روحية (تطهير النفس)، والزكاة كفعل تشريعي (تطهير المال)، وهما يجتمعان ضمن نسق واحد يربط بين الباطن والسلوك العملي، وهو ما تكشفه تفاسير القرآن عند تحليلها للألفاظ في سياقاتها.

ثانيا: موطن الإشكال: ما تقدم هو واضح في موضوعه، لكن هناك نوع من الخلط يحتاج إلى تفكيك؛ فالتمييز بين التزكية والزكاة، بما مفاده:

التزكية: مفهوم كلي يشمل تطهير النفس وتنميتها (بعد أخلاقي، روحي).

والزكاة: عبادة مالية محددة (بعد فقهي تشريعي)، فالربط بينهما انطلاقا من هذا المفهوم صحيح من حيث الأصل اللغوي، لكن لا ينبغي أن يحتزل مفهوم التزكية الواسع في مجرد الزكاة كفريضة. ويبقى السؤال مطروح؛ هل هذا يثبت تكامل التزكية مع العلوم؟ الاستشهاد هنا أقرب إلى بيان تطور دلالة لفظ في القرآن، وليس مباشرة إلى بيان كيف تتكامل التزكية مع العلوم كمنهج أو حقل معرفي، بمعنى: المثال لغوي تفسيري، بينما الدعوى أوسع (تكامل مع العلوم).

ثالثا: حدود الاستدلال اللغوي:

<sup>1</sup> الصفحة: 74.

<sup>2</sup> الصفحة: 77.

<sup>3</sup> الصفحة: 87.

قول ابن عاشور يخص تاريخ الاستعمال، لكنه لا يكفي وحده لإثبات أن التزكية تنتج علوماً أو أنها إطار ناظم للمعرفة، بل غايته إظهار خصوصية الخطاب القرآني في بناء المصطلح.

رابعاً: كيف يمكن تقوية الفكرة؟ إذا أريد فعلاً إثبات التكامل بين التزكية والعلوم، فالأقوى أن يبين كيف تؤثر التزكية في منهجية العالم (الصدق، الأمانة، تجنب الهوى)، وكيف توجه مقاصد العلم (نفع الإنسان، عدم الإفساد)، وكيف تتداخل مع علوم متعددة (التفسير، الحديث، الأخلاق، بل وحتى العلوم التجريبية من حيث أخلاقيات البحث). وعلى هذا فالاستشهاد بكلام محمد الطاهر بن عاشور ينجح في إبراز البعد الدلالي والقرآني لمفهوم الزكاة، وعلاقته بجذر التزكية، لكنه لا يكفي وحده لإثبات التكامل بين التزكية والعلوم، ولكي يكتمل البناء، ينبغي الانتقال من مجرد التحليل اللغوي إلى بيان الأثر المنهجي والأخلاقي للتزكية في إنتاج المعرفة وتوجيهها. وقال ناقلاً عن سيد قطب في ظلال القرآن: ".. وإقامة لأسس الحياة الاقتصادية على المنهج الذي يكفل ألا يكون المال دولة بين الأغنياء..<sup>1</sup> وقال في هذا الطود أيضاً: وللغزالي معنى لطيف في علاقة إيتاء الزكاة بعملية التطهير، فهو يحذر مؤتي الزكاة أن يمن بركاته على من يأخذها أو ينتظر منه شكراً، لأن حقيقة الأمر في نظر الغزالي آخذ الزكاة متفضل على معطيها..<sup>2</sup> وبعد علوم القرآن علم الاقتصاد: قال: والنظام الاقتصادي المعاصر يقوم على الفائدة الربوية، ولا يتصور أكثر الناس وجود نظام صالح يقوم على غير هذا الأساس، فصارت الزكاة إحساناً فردياً لا ينهض على أساسه نظام عصري، وبهتت صورة الزكاة في الحس المعاصر الذي لم يشهد نظام الإسلام في عالم الواقع.<sup>3</sup> وبعد علوم القرآن وعلم التصوف العلاقة القائمة بين علم التزكية وعلم التصوف: قال: بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ظهر ميل عند بعض الصحابة لاختيار الزهد نمطاً معيناً من السلوك الاجتماعي في العلاقة مع الناس، وهو نمط تطور فيما بعد ذلك إلى شيء من العزلة، عند ما تزايدت مظاهر الاحتفال بالدنيا لدى بعض الفئات، وتواترت الفتن السياسية، وانتهى الأمر إلى تحول الزهد والعزلة إلى ما عرف بالتصوف، الذي توزعت تمثالاته في مدارس متعددة. فمضمون التصوف أساساً هو الزهد في متاع الدنيا، والإكثار من أعمال التقرب إلى الله سبحانه، ولا شك في أن ذلك من صور التزكية، والتدين الإسلامي بصورة عامة.<sup>4</sup> ثم انتقل بعد هذا إلى الحديث عن الترابط بين علم التزكية وفقه العبادات، فقال: ومن تزكية الجسم القيام بالطاعات، وأولها إقامة الصلاة؛ أي تأديتها على وجهها، باستكمال متطلبات الوقوف والركوع والسجود والجلوس والاطمئنان في كل حالة، وتصور الحضور بين يدي الله في كل حركة وسكنة. ومن التزكية الحج والعمرة إلى بيت الله الحرام، وأداء المناسك من طواف وسعي ورمي وانتقال من مكان إلى آخر اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم.. وإذا كان إتقان الواجبات العملية التي يؤديها جسم الإنسان وجوارحه هي الصورة الظاهرة للعمل الصالح، التي تتكفل أحكام الفقه في ضبطها، فإن استقامة النية، وتوجه القلب من الصور الباطنة للعمل، وهي ما يهتم به علماء التزكية، لا ليكون بديلاً عن إتقان العمل وفق أحكام الفقه، وإنما ليكون متمماً ومكملاً.<sup>5</sup> والآن انتقل بجدتيته إلى الترابط بين علم التزكية وعلم العقيدة: فقال: درج الناس أن يحيلوا على العقل الإنساني وإدراك الحقائق وفهم الوقائع، وبناء على ذلك يقبلها ويؤمن بها، فيقر المؤمن -مثلاً- أن شرع الله حق، ويتخلى عما يمكن أن تزينه له نفسه من أهواء. ومع أن الإيمان بهذه الحقائق هنا هو ما قر في القلب،.. فالقلب موضع النية، والإيمان، والعواطف، والمشاعر، وما يضاد ذلك كذلك، من كفر، وزيف،

<sup>1</sup> الصفحة: 88.

<sup>2</sup> الصفحة: 88.

<sup>3</sup> الصفحة: 88.

الصفحة: 95. حخ <sup>4</sup>

الصفحة: 101. <sup>5</sup>

ومرض، وهوى. ودرج الناس كذلك على أن الموضوع الأساسي لتزكية النفس هو القلب، فالتزكية تختص بأعمال القلوب أكثر مما تختص بأي شيء آخر.<sup>1</sup>

#### رابعاً: التكامل بين العمران والعلوم:

قال في الترابط بين العمران والزمان (التاريخ) والتراب (الجغرافيا): قال: ومرور الزمن عنصر في تحقيق المجتمع ومرور الزمن عنصر في تحقيق المجتمع. بمستوى معين من مستويات البناء والتشكل الحضاري. ومالك بن نبي معادلة تجمع عناصر الحضارة يبين فيها دور كل من جهد الإنسان في مجتمعه للأسباب المادية، ومرور الوقت الكافي لتطوير مؤسسات الحضارة وأدواتها. لكنه يرى أن اجتماع هذه العناصر الثلاثة: (الإنسان، التراب، الوقت)،<sup>2</sup> وهذا الطرح يقترب من مستوى أكثر نضجاً في بناء فكرة التكامل، لأنه ينتقل من التنظير المجرد إلى محاولة تفسير يشكل الحضارة عبر عناصر محددة، والاستناد إلى تصور مالك بن نبي هنا مهم، لأنه من أكثر من نظروا للعمران بمنهج تحليلي، ويتضح مراده فس الآتي:

1- من جهة القوة: فكرة الربط بين الإنسان (الفاعل)، والتراب (المجال، الإمكانيات المادية)، والوقت (الزمن، التراكم)، تعد من أقوى النماذج التفسيرية في الفكر الحضاري الحديث؛ لأنها تخرج العمران من كونه نشاطاً عشوائياً إلى كونه عملية مركبة، وتبرز أن الحضارة لا تبني فقط بالموارد، بل بالتراكم الزمني، وتدخل التاريخ (الزمان) والجغرافيا (التراب) كعوامل حاسمة في فهم الواقع. كما أن قوله إن مرور الزمن عنصر في تحقيق المجتمع بمستوى معين. قول دقيق؛ لأن الزمن ليس مجرد إطار، بل شرط للنضج والتدرج، فلا يمكن اختزال بناء الحضارات في قرارات سريعة أو جهود آنية، لكن الإشكال عنده يظهر في نقطتين، هما:

أولاً: نقص عنصر الفكرة في العرض؛ فمالك بن نبي لا يكتفي بثلاثية (إنسان، التراب، والوقت)، بل يؤكد أن هذه العناصر لا تنتج أصلاً حضارة بذاتها، ما لم تنتظم حول فكرة أو مبدأ موجه، لذلك ينتقد أحياناً اختزال نموذجها في العناصر المادية والزمنية فقط، لأن الإنسان مع التراب مع الوقت قد ينتج تكديساً، لكنه لا ينتج حضارة دون معنى موجه (وهو ما يربطه هو غالباً بالدين).

ثانياً: علاقة العمران بالعلوم لم تبين كفاية: فالنص يربط العمران بالزمان والتراب، وهذا جيد، لكن العنوان هو التكامل بين العمران والعلوم، وهنا يحتاج إلى خطوة إضافية أي: كيف تسهم العلوم في استثمار التراب؟ (التقنية، الهندسة، الزراعة...). وكيف تسرع أو تنظم عامل الزمن؟ (التخطيط، التراكم المعرفي...) وكيف تطور الإنسان نفسه؟ (التعليم، بناء الكفاءات...)، بدون هذا الربط، يبقى الحديث حضارياً عاماً، لا معرفياً علمياً.

#### 2- القيمة المنهجية للفكرة:

هذا الطرح مهم لأنه يربط الفكر التربوي بالواقع التاريخي، ويعلم المتعلم أن النهضة ليست شعاراً، بل عملية مركبة تحتاج: فهم السنن، واستثمار الموارد والصبر الزمني. وعلى هذا فالاستناد إلى نموذج مالك بن نبي يقوي فكرة التكامل بين العمران والعوامل الواقعية (الزمان والمكان والإنسان)، لكنه يحتاج إلى استحضار عنصر الفكرة كمنظم لهذه العناصر، وبيان الدور الدقيق للعلوم في تفعيل هذا التكامل، حتى يتحول من وصف حضاري عام إلى إطار تحليلي يفسر كيف تبني الحضارة فعلياً. ومما يؤكد

الصفحة: 105-106.<sup>1</sup>

الصفحة: 124.<sup>2</sup>

الأول قوله: في مقدمة "المقدمة" ينتقل ابن خلدون من التاريخ -الذي هو خبر- إلى موضوع التاريخ وهو عمران العالم وحالات هذا العالم: "اعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال..<sup>1</sup> وقال أيضا: وقد تميز ابن خلدون في فهمه للتاريخ والاجتماع البشري، وعلاقته بالكون الطبيعي وسنن الوجود، بمزايا واضحة تماما..<sup>2</sup> ومما يؤكد تكامله مع الثاني كذلك، قوله: فالعمران هو الاستقرار في مكان محدد والتوطن فيه، والتخلي عن حياة التنقل في البادية والرحيل من مكان إلى آخر..<sup>3</sup> وبعده انتقل إلى الحديث عن علم العمران وعلم السياسة: قال: ومن سنن العمران أن يجتمع الناس على أنظمة وقوانين تنظم شؤونهم، فيقبلون بحاكم يحكمهم، ويلجأ الحاكم إلى مشورة أهل الرأي ممن ينتخبه الناس، فيترل على رأيهم، وينشأ بين الناس من أهل الحكم والقضاء من يفصل في منازعات الناس ويضبط حقوقهم.<sup>4</sup> ثم قال بعد هذا:.. العمران قيمة مرجعية في تحديد طبيعة الدولة وسياستها الاقتصادية والاجتماعية والقانونية. فالعمران لا يتحقق إلا في مجتمع بشري منظم في صورة دولة ذات أركان ومكونات، ولا تقوم الدولة دون سياسة تنظم أمورها.<sup>5</sup>

وقال في هذا أيضا: يرى ابن الأزرق "أن العمران البشري لا بد له من سياسة ينتظم بها أمره". ويتجاوز معنى السياسة -في اصطلاح ابن الأزرق ومن قبله ابن خلدون- فعل التنظيم والإدارة والتدبير، ليصبح المصطلح معبرا عن نظام الحكم في الدولة.<sup>6</sup> وبعد هذين انتقل لتوظيف الترابط بين علم العمران وعلم الحضارة، فقال: وعندما كانت الرؤية الكونية والخوافز الإيمانية هي التي تدفع الأمة الإسلامية إلى الإنجاز الحضاري، في الروح والمادة، فإن الأمة أنشأت حضارة متوازنة تجمع المتطلبات المادية والروحية. وكانت فيها الأمة حاضرة في ساحة العالم، وهي الرقم الصعب في علاقات الشعوب والأمم في الأرض يومذاك، ومصدر الريادة في العمران المادي والمعنوي..<sup>7</sup> وبعد الثلاثة انتقل إلى الحديث عن ثلاثة علوم، هي: علم العمران وعلم التوحيد وعلم التزكية، فقال: ويشكل العمران البشري مع توحيد الله الخالق سبحانه، وتركيب حياة الإنسان وتطهيرها وترقيتها على مستوى الأفراد والجماعات والأمة، منظومة قيمة، تحتاج أمتنا إلى اعتمادها مصدرا لسائر القيم الرئيسية والفرعية.<sup>8</sup>

#### المحور الثالث: المنظومة التكاملية: المقاصد، القيم، المبادئ:

انتقل هنا يتكلم على الترابط بين هذا الثلاثي، فقال: "إن التداخل في منظومة المفاهيم الثلاثة: المقاصد، والقيم، والمبادئ، هو تداخل تكاملي؛ يستدعي كل مفهوم منها المفهومين الآخرين، وهو تكامل منظومي تراثي، يحدد موقع كل مفهوم من المفهومين الآخرين".<sup>9</sup> وقال: ومن وجوه الربط بين القيم والمقاصد ملاحظة ظاهرة تبادل المواقع بينهما؛ إذ تمثل حاجة القيم إلى المقاصد

الصفحة: 142. 1

الصفحة: 143. 2

الصفحة: 131. 3

الصفحة: 134. 4

الصفحة: 154. 5

الصفحة: 154. 6

الصفحة: 149. 7

الصفحة: 168. 8

الصفحة: 171. 9

من تأكيد أن موقع القيم وأهميتها وفعاليتها وتأصيلها في الواقع الاجتماعي، إنما يأتي من كونها نتيجة لمقاصد الأحكام الشرعية.<sup>1</sup> وليبيان هذا أكثر، لا بد من التطرق لنقاط معه، وهي كالآتي:

#### أولاً: المقاصد والقيم:

قال: ونجد بعض الباحثين قد بذلوا جهوداً في الربط بين القيم والمقاصد من أجل "الوصول إلى تقرير وترسيخ هذه المقاصد في تلك القيم، أو لتكون المقاصد الوعاء والمرجع لتلك القيم".<sup>2</sup> وهذا الطرح يفتح باباً مهماً في بناء النسق القيمي، لأنه يحاول وصل المقاصد (كإطار غائي كلي) بالقيم (كترجمات سلوكية ومعيارية)، وهو توجه وجيه في أصله، لكنه يحتاج إلى تدقيق في طبيعة العلاقة بين الطرفين، ويتضح هذا في الآتي:

**1- من جهة القوة:** الفكرة تدرك أن المقاصد تمثل الغايات العليا (حفظ الدين، النفس، العقل...)، والقيم تمثل المعاني العملية التي توجه السلوك (كالعدل، الرحمة، الأمانة...)، وعليه، فإن جعل المقاصد مرجعاً للقيم يمنح هذه القيم أساساً شرعياً منضبطاً،

واتساقاً داخلياً (فلا تتعارض القيم فيما بينها)، وقابلية للتربيل في الواقع وفق غايات واضحة، بهذا المعنى، العلاقة يمكن فهمها كالتالي:

- المقاصد: الإطار الكلي.

- القيم: التعبير التفصيلي العملي.

لكن الإشكال يظهر في صياغة العلاقة أي: فهل القيم مجرد مستوعب داخل المقاصد؟، القول بأن المقاصد وعاء للقيم قد يوحي بأن القيم مجرد فروع تابعة، بينما في الواقع العلاقة أكثر تفاعلية القيم هي التي تجسد المقاصد وتظهرها في الواقع أي: أن العلاقة ليست احتواء فقط، بل تجسيد وتبادل.

**2- مشكلة الاشتقاق المباشر:** ليس دائماً يمكننا اشتقاق كل قيمة مباشرة من مقصد معين،

بعض القيم كلية (كالعدل) تتداخل مع جميع المقاصد، وبعضها سياقي يتشكل عبر التجربة الإنسانية. لذا فالعلاقة ليست خطية بسيطة.

**3- خطر التجريد الزائد:** إذا بقيت المقاصد في مستوى عالٍ من التجريد، ولم تربط بالقيم بشكل عملي، قد تصبح إطاراً نظرياً غير فاعل، بينما القيم بدون تأصيل مقاصدي قد تنفصل عن مرجعيتها. كيف يمكن ضبط العلاقة بشكل أدق؟ الأدق أن يقال:

المقاصد تحدد الاتجاه والغاية، والقيم تحدد كيفية السلوك لتحقيق تلك الغاية، والعلاقة بينهما تفاعلية:

المقاصد تضبط القيم، والقيم تفعل المقاصد في الواقع.

الصفحة: 172. <sup>1</sup>

الصفحة: 176. <sup>2</sup>

#### 4- القيمة التربوية:

هذا الربط مهم جدا في بناء شخصية المتعلم، لأنه يمنعه من التعامل مع القيم كقوائم معزولة، ويكسبه وعيا غائيا (لماذا نلتزم بهذه القيمة؟)، ويساعده على الترجيح عند التعارض (بتقديم ما يحقق المقصد الأرجح). وعلى هذا فالطرح ينحج في التأكيد على ضرورة ربط القيم بالمقاصد، لكنه يحتاج إلى تجاوز فكرة الوعاء البسيطة نحو تصور أكثر دينامية، حيث:

المقاصد إطار موجه، والقيم أدوات تفعيل، والعلاقة بينهما علاقة بناء متبادل لا تبعية أحادية. وزاد من الأمثلة الدالة على هذا لتوضيح الفكرة أكثر، فقال: ومن الأمثلة على هذا الربط بين المقاصد والقيم في تعبيرات السابقين ما جاء في الأشباه والنظائر للسيوطي في سياق الحديث عن النية، وفيه ينقل عن البيضاوي. فالسيوطي يربط بين القيم والمقاصد من جهة والنية من جهة أخرى.<sup>1</sup> ومن أعجب ما استوقفني في هذا الكتاب هو حضور الدكتور خطبة الجمعة في أحد مساجد عمان بكليته، والشاهد هو قوله: ومن ذلك أن كاتب هذه السطور في الوقت الذي كان منشغلا بكتابة هذا الفصل صلى الجمعة في أحد مساجد العاصمة الأردنية عمان يوم 28/09/2018م، وكانت خطبة الجمعة عن مسألتين حدثتا في الأسبوع الذي سبق ذلك اليوم في المجتمع الملحي، اعتبرهما الخطيب خروجاً على الأخلاق التي يدعو إليها الدين، والفضائل التي تبناها المجتمع. وكانت مدة الخطبة 29 دقيقة، وقد استخدم الخطيب عددا من الألفاظ منها القيم والأخلاق والكرامة والشهامة والمروءة. وبالمقارنة بين لفظي القيم والأخلاق تحديداً، ورد لفظ القيم 25 مرة، بينما ورد لفظ الأخلاق 12 مرة.<sup>2</sup> أدهشني هذا الحضور! كأنه ما حضر إلا ليعد الدقائق والمصطلحات، وما الأمر كذلك، فقد حضر الجمعة والخطبة بكله وكليته، قال: ومع شيوع مصطلحي المقاصد والقيم وجدنا من الباحثين من يربط بينهما، ومن هؤلاء طه عبد الرحمن الذي يربط بين القيم والمقاصد في المجال الفلسفي.<sup>3</sup>

ثانياً: القيم والإصلاح التربوي: قال: ونحن نؤمن بأن تربية القيم تحتل موقعا مركزيا في جهود الإصلاح التربوي في المرجعية الإسلامية. ويجدر بنا أن نلاحظ الصفة التكاملية والتبادلية بين التربية والقيم، فالتربية هي وسيلة لتنمية القيم، والقيم هي موجهات للتربية. فالتربية قيم، وفي التربية قيم تربوية، والتربية سلوك قيمي.<sup>4</sup> وهذا النص يقدم رؤية متماسكة في ظاهرها، لأنه لا يضع القيم على هامش الإصلاح التربوي، بل في قلبه، ويؤكد على العلاقة التبادلية بين التربية والقيم. غير أن قوته الحقيقية تتوقف على مدى ضبط هذه العلاقة وتفصيلها عمليا، ويتضح هذا في الآتي:

**أولاً: من جهة القوة:** الفكرة الأساسية هنا دقيقة ومهمة: لا يمكن تصور إصلاح تربوي حقيقي دون بناء قيمي، كما أن القيم لا تنقل نظريا، بل تكتسب عبر العملية التربوية نفسها.

وقوله: التربية وسيلة لتنمية القيم، والقيم موجهات للتربية. كلام مهم يعكس علاقة دائرية بناءة؛ القيم تحدد أهداف التربية واتجاهها، والتربية تجسد هذه القيم في سلوك المتعلم. وهذا ينتج تصورا عميقا؛ التربية ليست مجرد نقل معرفة، بل تشكيل إنسان قيمي. لكن الإشكال يظهر عند مستوى التعميم؛ خطر الشعاراتية

عبارات مثل: التربية قيم والتربية سلوك قيم، قوية بلاغيا، لكنها تحتاج إلى ترجمة إجرائية، وإلا بقيت في مستوى الخطاب العام دون أثر عملي في المناهج أو الصفوف الدراسية.

الصفحة: 183. 1

الصفحة: 186. 2

الصفحة: 187. 3

الصفحة: 199. 4

سؤال وارد: ما هي القيم المقصودة؟ هل نتحدث عن قيم عامة (كالصدق، المسؤولية)، أم قيم منبثقة من مقاصد محددة، أم منظومة مرتبة لها أولويات غياب التحديد قد يجعل تربية القيم مفهوما فضفاضاً.

**ثانياً: إشكال التزويل التربوي:** إذا كانت القيم موجّهات للتربية، فكيف يظهر ذلك عملياً؟ في تصميم المناهج؟ في أساليب التقويم؟ في علاقة المعلم بالمتعلم؟

الإصلاح الحقيقي يتطلب تحويل القيم إلى ممارسات تعليمية قابلة للقياس. التوتر بين المعرفة والقيم، أحياناً يطرح الإصلاح القيمي وكأنه بديل عن الإصلاح المعرفي، وهذا غير دقيق، فالتربية الفعالة تحتاج تكاملاً بين المعرفة والمهارة والقيمة، لا تغليب أحدها على الآخر.

**ثالثاً: القيمة التربوية الحقيقية للفكرة:** إذا ضبطت، فهي تؤسس لنموذج قوي حيث المنهج لا يعلم ماذا نعرف فقط، بل كيف نتصرف، والمعلم ليس ناقل معلومات فقط، بل نموذج قيمي حي، والتقويم لا يقيس الحفظ فقط، بل السلوك والاتجاهات. وعلى هذا الطرح ينجح في تأكيد مركزية القيم في الإصلاح التربوي، ويقدم علاقة تفاعلية سليمة بين التربية والقيم، لكنه يحتاج في الآن نفسه إلى تحديد أدق لمنظومة القيم، وترجمة هذه العلاقة إلى آليات تطبيقية (مناهج، تقويم، ممارسات صفية)، حتى ينتقل من مستوى التأكيد المبدئي إلى مستوى الإصلاح الفعلي.

**رابعاً: القيم التربوية والتربية الإعلامية:** قال: "... فإن كل فرد يحتاج إلى شيء من التربية الإعلامية، تأتي من وعيه بمصلحته الفردية ومصلحة أسرته ومجتمعه، فالأمر في الأساس مسؤولية فردية. وتستطيع الأسرة أن تقدم شيئاً من هذه التربية الإعلامية لأبنائها، ليس فقط عن طريق وضع القواعد والضوابط والقيود، وهي لازمة على كل حال، وإنما عن طريق المثال القدوة، والتنشئة والتدريب، والتوجيه والترشيد. وتستطيع المؤسسات التعليمية المدرسية والجامعية تقديم توجيهات وبرامج لهذه التربية الإعلامية.<sup>1</sup> وهذا المقطع يقدم بعداً مهماً في ربط القيم التربوية بالتربية الإعلامية، وي طرح رؤية متكاملة تشمل الفرد، الأسرة، المؤسسات التعليمية، الفكرة محورية في عصر الإعلام الرقمي، حيث يصبح الوعي بالقيم ضرورة لحماية الذات والمجتمع، ويتضح هذا في الآتي:

**أولاً:** من جهة القوة: ربط الفرد بالمجتمع النص يوضح أن التربية الإعلامية تبدأ بالوعي الفردي لمصلحة الفرد، الأسرة، والمجتمع، مما يؤكد على المسؤولية الذاتية كأساس للتربية، هذه الرؤية تعكس تطبيقاً عملياً للقيم، لأن إدراك الفرد لمصلحة الآخرين يعكس قيمة الالتزام والاحترام والمسؤولية، دور الأسرة كنموذج عملي.

الأسرة ليست مجرد ضوابط وقواعد، بل قدوة وتدريب، ما يعكس العلاقة التبادلية بين القيم والسلوك العملي، وهذا يعزز فكرة أن التربية القيمية تنجسد في الأمثلة اليومية وليس فقط في التعليم النظري.

### تكامل المؤسسات التعليمية

المدارس والجامعات يمكن أن تقدم برامج وتوجيهات للتربية الإعلامية، ما يظهر أهمية توحيد الجهود بين الأسرة والمؤسسات، وبالتالي تعزيز التكامل بين القيم والسلوك الإعلامي.

**ثانياً: من جهة الإشكال أو التحسين:** غموض أدوات القياس والتقييم؛ كيف يقاس نجاح التربية الإعلامية؟

بدون مؤشرات واضحة (مهارات نقدية، وعي بمصادر الإعلام، قدرة على التمييز)، قد تظل المبادرات عامة دون أثر ملموس. اعتماد كبير على الوعي الفردي

القول بأن الأمر مسؤولية فردية صحيح من حيث المبدأ، لكنه يحتاج دعما مؤسساتيا قويا لتقليل الاختلافات الفردية في الثقافة الإعلامية. ليس كل الأفراد يمتلكون القدرة على التمييز بين المحتوى الإعلامي الإيجابي والضار بدون توجيه منهجي.

تداخل القيم التربوية التربوية الإعلامية ليست بمعزل عن القيم الأساسية الأخرى (الأمانة، الصدق، المسؤولية الاجتماعية)، ويحتاج النص إلى إبراز كيفية توظيف هذه القيم عمليا داخل التربية الإعلامية. القيمة التربوية للفكرة: تربط بين القيم والسلوك الواقعي في سياق الإعلام الرقمي. تؤكد على دور القدوة والممارسة اليومية في غرس القيم. تضع مسؤولية التربية الإعلامية على ثلاثة مستويات: الفرد، الأسرة، المؤسسات التعليمية، ما يعكس مقاربة شمولية وتكاملية. وعليه فالطرح متين في إبراز أهمية التربية الإعلامية كأداة لتفعيل القيم التربوية، لكنه يحتاج إلى مؤشرات عملية للتقييم، توازن بين المسؤولية الفردية والدعم المؤسسي، وضوح في كيفية تطبيق القيم داخل برامج التربية الإعلامية، لكي يتحول من رؤية عامة إلى إطار عملي قابل للتطبيق.

**خامسا: المقاصد والتربية:** قال: وصفه المعنيين بالتربية والتعليم لا تقتصر على العاملين في المدارس والجامعات وغيرها من المؤسسات التعليمية والتربوية، فكل أفراد المجتمع معنيون، وكل فرد هو معلم أو متعلم، بصورة من الصور، وكل فرد هو ابن أو أب أو أم، وتفعيل المقاصد في هذه المستويات يعني فيما يعنيه أن تكون عناية كل فرد بالتعليم والتربية عناية جادة تتصف بالإيجابية والشعور بالمسؤولية<sup>1</sup>. وهذا المقطع يوسع مفهوم التربية ليشمل المجتمع بأسره، ويبرز العلاقة بين المقاصد التربوية والمسؤولية الفردية، وهو تصور بالغ العمق، لأنه يحول التربية من مهمة مؤسسية ضيقة إلى مسؤولية جماعية متبادلة، ويتضح هذا في الآتي:

**1- من جهة القوة:** التربية كمجال اجتماعي شامل؛ النص يوضح أن التربية لا تقتصر على المدارس أو الجامعات، بل تشمل كل أفراد المجتمع، سواء كمعلمين أو متعلمين، وهذا يعكس فهما متكاملًا للمجتمع بوصفه فضاء تربويا مستمرا، حيث لكل فرد دور فعال في العملية التربوية.

## 2- تفعيل المقاصد على المستوى الفردي:

ربط المقاصد التربوية بالمسؤولية الفردية يعزز الوعي بأن التربية ليست مجرد نقل معرفة، بل جهد شخصي مستمر يتطلب شعورا بالمسؤولية والإيجابية، وهذا يخلق ثقافة قيمة عامة داخل المجتمع، بدلا من حصر التربية في المؤسسات التعليمية.

**3- دمج الأدوار العائلية والتربوية:** النص يربط بين دور الفرد كابن، أو أب، أو أم وبين التربية، ما يعكس تربية غير رسمية متواصلة، ويبرز أهمية القدوة والتنشئة الأسرية في غرس القيم.

**4- من جهة التحليل النقدي:** التحدي في التطبيق العملي تحويل كل فرد إلى معلم أو متعلم يحتاج إلى إطار عملي واضح لتحديد كيفية المساهمة الفعلية، وإلا قد يبقى الطرح نظريا فقط.

**5- ضرورة التوازن بين الأدوار الفردية والمؤسسية:** بالرغم من أهمية المسؤولية الفردية، لا يمكن إهمال دور المؤسسات في ضبط الجودة والمناهج والتوجيه، وإلا قد تحدث فجوات في تكامل التربية.

6- تحدي قياس تفعيل المقاصد: كيف نعرف أن كل فرد يحقق المقاصد التربوية في سلوكه اليومي؟، لأنه بدون أدوات قياس، قد تظل المقاصد غائبة عن التنفيذ العملي.

7- القيمة التربوية للفكرة: تجعل التربية مسؤولية مجتمعية مشتركة، تحفز الأفراد على المبادرة الإيجابية في التعليم والتنشئة،

وتوضح أن المقاصد التربوية ليست نظرية جامدة، بل تحتاج مشاركة جميع مستويات المجتمع وعلى هذا فالطرح قوي في تأكيد شمولية التربية وضرورة تفعيل المقاصد على المستوى الفردي والمجتمعي، لكنه يحتاج إلى: توضيح آليات التنفيذ العملي، أدوات لتقييم مدى تحقق المقاصد، والتنسيق بين الأدوار الفردية والمؤسسية، حتى يتحول من رؤية نظرية إلى استراتيجية قابلة للتطبيق. وقال في دليل واضح على هذا: ولا شك في أن تنمية العقل تتم بالتعلم والتعليم بأساليبه ووسائله المعروفة..<sup>1</sup> وقال أيضا: ويحتاج تحقيق حفظ العقل إلى وسائل متعددة منها التربية الفكرية من أجل تكوين العقلية العلمية..<sup>2</sup> وفي الأخير ربط بين نهاية البحث وأوله، وهذا ما ينبئ عن تكامل الكتاب وتكامل العلوم، تجلى ذلك في تعرضه لتحليلات تربوية في كل من التوحيد، والتزكية، والعمران، كي يختم لنا هذه الرحلة التكاملية بقوله: ونؤكد مرة أخرى أن هذه القيم الثلاث تتصل ببعضها اتصالا وثيقا، فالتوحيد هو الحقيقة الكبرى في هذا الوجود.. والكون كله خاضع بالفطرة لمقتضيات التوحيد، فإذا أراد الإنسان أن ينسجم مع فطرة الكون، فلا بد له من أن يتزكى.. فالتزكية موضوعها الإنسان المستخلف، وهو موضوع الإصلاح في الواقع الإنساني.. لذلك هدف العمران ووسيلته، وهي تدخل في تصميم البناء الاجتماعي والعمران البشري.<sup>3</sup>

خاتمة: يتجلى انطلاقا من هذا الطرح التكاملي التطبيقي في كتاب الدكتور فتحي حسن ملكاوي أن التكامل المعرفي بين مصادر المعرفة الثلاثة، ليس مجرد تنظير، بل هو مدخل فعال لإعادة بناء المنظومة التربوية على أساس مقاصدي قيمي، ومن شأن هذا التصور أن يسهم في تخريج أجيال متوازنة، قادرة على التفاعل الواعي مع واقعها، ومؤهلة للمشاركة في نهضة أمتها.

الصفحة: 224. 1

الصفحة: 224. 2

الصفحة: 259-260. 3